

مَشَاعِرُ مُبْعَثَاتِ

مشاعر مبعثرة

الكاتب: خالد مجدي رضوان

إخراج فني: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: 2019 / 25628

الترقيم الدولي: 9 - 082 - 844 - 977 - 978

Facebook Page: دار الزيات للنشر والتوزيع

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهنדה الزيات

المدير العام / أ. محمود محروس إبراهيم

01066736765 - 01011122429



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار الزيات المشهرة قانوناً بسجل تجاري رقم / 49351



مَشَاعِرُ مُبَعَثَةٍ

مجموعة قصصية

الكاتب

خَالِدُ مَجْدِي رِضْوَان





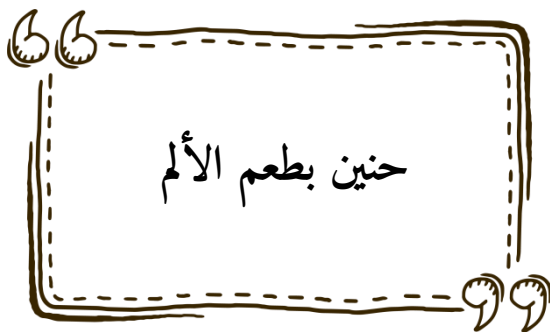
إهداء

إلى من تبعثرت مشاعرهم في دروب الحياة.
إلى من صدمتهم الحياة في أزماتها الخائقة.
إلى من يطمح في العيش دون وجود عوار مجتمعي.

أهدى إليكم مجموعتي القصصية وأتمنى أن أكون قد وفقت في
التعبير ولو بمقدار ضئيل عن معاناتكم على أمل أن نحيا ذات يوم بلا
مشاعر تضل طريقها الافتراضي، تقوى على أزمات الحياة في مجتمع
يجتنبه العوار.

خالد مجدي رضوان





يجلس الجميع حول طاولة مستديرة في غرفة الاستقبال في منزل حسان يسيطر عليهم الصمت التام، يترأس تلك الجلسة الشيخ عاطف مآذون الحلي، في حضور ابتسام زوجة حسان وابنها الأكبر علي صاحب الخامسة عشر ربيعاً وأيضاً زوج شقيقة ابتسام وصديق حسان المقرب. بصوت هادئ حنون يطلب الشيخ عاطف من مدام ابتسام التروي والتفكير مجدداً في طلب طلاقها من حسان ومحاولة التغاضي عن الأسباب التي تجعل من طلبها دواء شافياً لعلاقة زوجية جريحة استمرت ستة عشر عاماً أسفرت عن إنجابها اثنين من الذكور واثنين من الإناث.

تصمت ابتسام بعض الوقت تحاول أن تتذكر معشر حسان الطيب
الحنون ولكن مشهد ضبط زوجها كما ولدته أمه في أحضان فتاة شابة في
غرفة نومها جعل من عقلها ونفسها رافضين لمجرد طرح فكرة العدول
عن قرارها.

فعندما ذهب أبناؤها جميعاً لرحلة ترفيهية لمدة 24 ساعة استغلت
ابتسام هذه المناسبة وذهبت في الصباح الباكر لزيارة والدها وفي فترة
الظهيرة كان معاد وصولها المفاجئ حاملة معها أفخم زجاجات العطور
وبعض الحلويات باهظة الثمن كهدية لزوجها بمناسبة عيد زواجهما
المصادف نفس يوم سفر أبنائها فكانت فرصة رائعة للاحتفال بتلك
المناسبة دون وجود مزعج لهما، ولكنها لم تكن تعلم أن الشيطان قد
سبقها ووفق عشيقين في الحرام.

لم تجد ابتسام مبرراً للتغاضي عن نزوة زوجها حيث كانت له نعم
الزوجة والعون في الحياة وعلى الرغم من إنجابها أربعة أبناء إلا أنها لم
تقصر أبداً في واجباتها الزوجية تجاه زوجها، وجعلته على رأس أولوياتها
فهو مقدم على أبنائها في حياتها اليومية.

تتملك ابتسام قشعريرة لا إرادية لبضعة ثوان أمام الحضور كانت بمثابة كلمة الفصل لحياتها الزوجية مع حسان.

- خلاص يا حضرة المأذون كل حاجة بيننا انتهت، شوف شغلك بعد الأستاذ حسان ما يرمي اليمين.

- استنى يا شيخ عاطف وقولي لي يا ماما إيه اللي حصل بينك انت وبابا يمكن أقدر أصالحكم علي بعض، أنا خلاص كبرت وبقيت فاهم كل حاجة.

- يا حبيبي أنا وبابا بنحب بعض لكن ما بقاش ينفع أبداً نعيش سوا في بيت واحد، لكن أوعدك هافضل أنا وبابا أصحاب وهتواصل مع بعض دائماً علشانك انت واخواتك.

- معقول يا ماما! هو دابس السبب؟ علشان خاطري بلاش طلاق وما تزعلش من بابا وأوعدك مش هيزعلك تاني.

بصوت حاد وصريح تصيح ابتسام دون اكتر اثار بتوسلات ابنها.

- شوف شغلك يا شيخ عاطف.

- لا حول ولا قوة الا بالله، موافق على كلام زوجتك يا أستاذ

حسان؟

لم يجد حسان مفراً من تطليق زوجته، فعلى الرغم من ندمه على نزوته وطلبه الغفران منها، ليس من أجله ولكن من أجل أبنائهما؛ إلا أن كرامتها الزوجية لم تسمح لها بالتنازل عن مطلبها ولكنها سمحت لها بالتغاضي عن أي ضرر مجتمعي أو نفسي قد يحدث لها أو لأولادها حيث عاطفتها الجياشة المنكسرة جعلتها تهدد باللجوء إلى الخلع أمام محكمة الأسرة، وكشف ستر الله لحسان أمام أولاده وأمام الجميع إذا لم يتم حسان بتطليقها فوراً في تلك الجلسة، فكان الاتفاق الأخير بين الزوجين قبل جلسة الانفصال يقضي بثلاثة بنود.

- تعهد كلاهما للآخر بعدم تشويه الصورة العامة لأي منهما أمام الجميع والحفاظ على المظهر العام بكل رقي وتحضر.

- الاتفاق على مغادرة الزوج مسكن الزوجية ليتحول مساه المعيشي إلى مسكن أولاده ووالدتهم الحاضنة لهم.

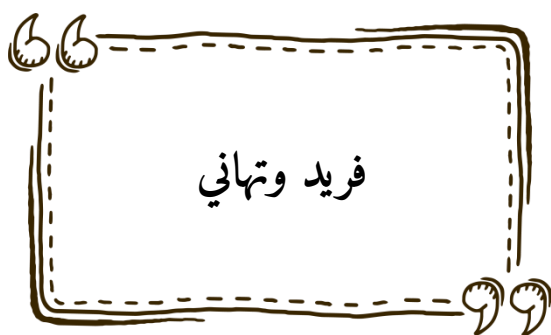
- تعهد الأب بالإنفاق على أبنائه قدر استطاعته.

نظر حسان إلى ابتسام بكل ثبات وأشهر على الجميع يمين طلاقها منه طلبة واحدة والتي تلقته منه بابتسامة منعشة مصحوبة بزفير أطلقتها بالتدريج على عدة مراحل، أما علي فلم يشعر أحد بغصة قلبه وباطنه.

أنهى المأذون إجراءات الطلاق وبمجرد توقيع ابتسام على تلك الأوراق غادر الجميع وكان آخرهم حسان الذي عانق أنجاله بعدها عناق الهدم والفراق.

وما إن انتهى علي من وداع والده حتى ذهب إلى غرفة أبويه السابقة لينظر إليها كنظرة طائر محلق يجيش بالبكاء يسترجع ويحن لأجمل لحظات حياته التي عاصرها في تلك الغرفة قبل بضعة أيام، حيث كان يتنافس والديه على مداعبته واجتذابه إلى أحضانها دون الاكتراث بمشاعر غيره أشقائه منه، فهو الآن يحتاج إلى من يحنو عليه ويضمده جروحه التي تسبب فيها أبويه، خاصة بعدما بلغت آلامه الباطنة عنان السماء عندما أحس أن من هم المفترض أن يكونا ينبوع الدواء والبهجة والأمان لديه؛ هما مصدر جروحه، فيكون حنينه إليهما معاً حنيناً بطعم الألم.





يجلس فريد وتهاني في أحد الأماكن الساحرة المطلة على نيل مدينة
القاهرة حيث اللون الفيروزي العجيب بجانبها، يتشابكان الأيدي
ينظران لبعضهما حيث يتأمل فريد بشاشة وجه تهاني وعينيها ذات اللون
البنّي المحترق، أما تهاني فتشعر بمجد الأنوثة العتيق حين ترى وتشعر
بذوبان فريد في غرامها العذب.

- أنا مش مصدق إن خلاص فاضل كام يوم ونكتب كتابنا ونتجوز
ويتقفل علينا باب واحد يا تهاني.

- بصراحة يا فري يا حبيبي أنا طيارة من الفرحة وحاسة إنك كتير
عليّ وإنك عوض ربنا ليّ.

- حبيبي من جواّ يا تهاني.

- جواّ الروح يا فريد الإحساس والمشاغري حبيبي.

وما هي إلا أيام قليلة حتى دخل فريد وتهاني قاعة النورس
للحفلات بداخل أحد الفنادق العالمية على متن عربة ربح نقل حمراء
اللون يقفان في ساحة العربة من الخلف يرتدي فريد بدلة زفاف سوداء
اللون مع رابطة عنق حمراء، وترتدي تهاني فستان زفاف أبيض لامعاً
أنيقاً يضيق على نهديها العامين باللين، محدداً معالمها كاشفاً فراغ ما
بينهما، تتساقط على كتفيها خصلات شعرها الأسود الناعم ثم بدأت
العربة في التجول بهم في جميع أنحاء قاعة الاحتفال، المؤسسة بشكل
دائري، يلقون التحية إلى ضيوف الحفل من الأهل والأصدقاء الذين أتوا

بكل ترحاب ليلاركوا الزواج الميمون، فكان استقبال العروسين مصحوبًا بالتصفيق والزغاريد النسائية إلى أن استقرت العربى في منتصف القاعة، لبدأ بعدها العروسين في أداء وصلتهما الراقصة الأولى على متن العربى على أنغام أغنية عمرو دياب الشهيرة "وما له لو ليلة تنها بعيد وسبنا كل الناس" وسط تهليل هيسيتري من شباب الحضور، لتغادر بعدها العربى بدون العروسين، لبدأ العروسان وصلات الرقص على نغمات الأغاني الصاخبة والتي كانت بمثابة الفرصة لكي تشهر تهاني للعمامة والكافة موهبتها الكبيرة في فنون الرقص الشعبي برفقة زوجها الذي لم يتمكن من مجاراتها أبدًا، فلم تكن له حيلة سوى الاكتفاء بالتصفيق لزوجته ومشاركتها في إشهار موهبتها أحيانًا نادرة.

تنتهي حفلة الزفاف بعد الثانية صباحًا ويذهب العروسان إلى جناحهما الملكي بأحد أدوار الفندق العالية المخصصة للعروسين للغرق في بحور العسل بدون إزعاج، حيث كان في استقبالهم طبق عامر من الفاكهة المصرية والاستوائية يعد خصيصًا للعروسين، يغلق فريد باب

جناحه الملكي ليجد تهاني تنتظره حمراء الوجنتين تنظر إليه بإعجاب بالغ
وعند محاولته تقبيلها كانت الصفعة القوية ترن كصوت آلة الدرامز على
وجه فريد المبتسم.

- قوم يا منيل على عينك هافضل أصحي فيك كدا كل يوم! المنبه
بيرن بقاله ساعتين صحاني وانا في الأوضة الثانية وانت زي الحيوان
عديم الإحساس.

أفاق فريد من سباته العميق وفتح عينيه بصعوبة بالغة، محرّكاً رأسه
بشكل دائري حاد.

- في إيه يا ماما؟

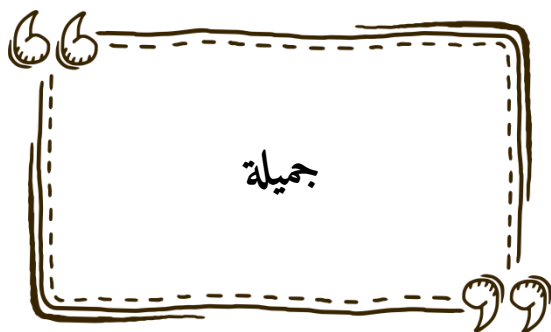
- الساعة 7 يا سعادة الباشا، يا دوبك تلحق طابور المدرسة يا
موكوس.

تغادر الأم عائدة لفراشها الدافئ ليتمتم فريد.

- نسوان عاوزة الحرق مش بيعجي من وراهم إلا الهم وقلة المزاج
والقرف.

ليستغرق بعدها فريد بضعا من الدقائق ليهضم تناقضات الحلم
والواقع التي ألت به، لينهض بعدها جاحظ العينين لكي يتجهز
لالتحاق بمدرسته الثانوية في خلال ربع ساعة على أقصى تقدير وإلا
تلقى صفعة أخرى كالتى تلقاها منذ دقائق.





اسمي جميلة ولكني لا أمتلك من معنى اسمي غير جمالي الظاهري،
أما روحي، فهي سوداء تئن بما يكفي أن تصدر صوتًا يشابه صوت
الانفجار، وعن أعمالي فهي ينبوع الحرام المتوهج، أمتلك ما يصل لربع
قرن من الزمان على تلك الحياة الدنيا، تلك السنوات التي بدأت برحيل
أمي بعد ولادتها لي ببضعة ساعات بعد أن أفقدت من دمها الكثير ولم
يشفع لها المتبقي منه للنجاة بحياتها من الرحيل الأبدي، فكان حرمانني
من ضمي لأحضانها الذي لم يحدث ولو للحظة واحدة هو هاجسي
الذي لم يغادرني حتى الآن.

لم يحزن أبي على أمي الكثير من الوقت؛ فقد كان لقلبه الملهب اللعين الكلمة العليا فأجبره القلب الجائع على زيارة المأذون مرة أخرى في غضون سبعة أسابيع بعد وصول أمي لثواها الأخير، فكان شتات نفسي ووحدها هما جزائي؛ فلم يكن لي مسكن محدد ألزمه، فكنت أنتقل للسكن من مكان لآخر عند بعض الأهل والأصدقاء، هرباً من جحيم زوجة أبي التي كانت تستمتع بقهري وإذلالي وسط حالة من اللامبالاة سيطرت على أبي المستسلم لملابس زوجته الداخلية ذات اللون الأحمر، فلم أجن من حياتي سوى فقدان الأمان وحاجتي الماسة للحنان.

مرت الأيام سريعة مريرة، وعلى الرغم من معاناتي إلا أنني أنهيت تعليمي الأساسي بمجموع درجات لا بأس به، جعل من إمكانية لحاقي بمدرسة الثانوية العامة أمراً يسيراً، فكانت النقطة الفاصلة في حياتي حين تأكد أبي من حمل زوجته اثنين من الأجنة في أحشائها بعد خمس عشرة سنة عانت فيها زوجها من العقم، حيث خضع أبي لرغبة زوجته دون نقاش بحرمانه من طموحي في إكمال مسيرتي التعليمية، ليقرر اغتصاب حياتي وحقوقى الاجتماعية والبحث لي عن زوج لأفسح مكاناً في المنزل

لأخويّ، فكانت الحفلة التي أقامها أبي بوصول أخويّ الذكور إلى الدنيا بمثابة السوق الذي طرحني كمنتج خاص به يشتره من يريد ولو بشكل مجاني، فلم أجد أيّا من البشر يصون ويحفظ لي كرامتي وإنسانيّتي المنتهكة من والدي.

كان خروج أبي وزوجته من المنزل لزيارة طبيب الأطفال الخاص بأخويّ بمثابة فرصتي العظيمة للهرب والانتقام معاً، فكان أول مشواري المنفرد استيلائي على جميع متعلقات أبي وزوجته المادية والثمينة والتي يشكل أكثر من نصفها ممتلكات أمي رحمها الله، ليكون ذلك الفعل هو انتقامي منهم وبداية الحرامات التي ارتكبتها في حياتي، فما كان من زوجة والدي إلا قيامها بتحرير محضر سرقة ضد الابنة اليتيمة التي تفننت في دمارها وسط تغاضٍ تام من أبي عن أبوته، ليؤكد اتهام زوجته في قسم الشرطة، ولم يسعَ ولو للحظة واحدة في التفكير والبحث عن ابنته الهاربة.

لأبدأ طريقي الجديد بالإقامة في مساكن العشوائيات في المقابر، ووضعت ما حصلت عليه من أموال جراء بيع المسروقات بداخل حفرة

من التراب بالقرب من حرم المقابر، وبدأت في العمل كخادمة في المنازل صباحًا، وأعود لعشش القبور في المساء، وليظل حالي بلا جديد تحت الشمس حتى بلوغي سن الرشد، فكان موعدي مع انتقامي الثاني، حيث كان من نصيب السيدة جبروت التي كنت أعمل على خدمتها طوال عدة سنوات، تلك المتوحشة التي تفنتت في عذابي ليقينها بأنني أحتاج للعمل لديها، ولإحساسها بأنني أخفي عنها سرًا دفينًا، فكانت تستغل ضعفي وقلة حيلتي بحرمانني من الراحة، وأحيانًا من مقابل أتعابي لديها.

وكانت السرقة هذه المرة عامرة بالكثير من الخيرات، تفوق ما سرقته عندما كنت صغيرة من شقة والدي أضعافًا كثيرة، لأستقر بعدها في إحدى الشقق الفاخرة المطلة على نهر النيل، والتي كانت بمثابة مكافأتي لنفسي عقب سنين الحرمان، بعد أن تمكنت من استخراج بطاقة الرقم القومي بصعوبة لإثبات ممتلكاتي بشكل رسمي، وكان من تأسيسي لعمل مشروع تجاري ليكون واجهتي التي أعتاش منها فكرة سديدة،

ولأخفي فيها ثرائي الفاحش المحرم، ولكي أغسل أموالِي من ملاحقة سلطة من أين لك هذا، فاخترت أحد الأشخاص الذين تعرفت عليهم أثناء إقامتي في حرم المقابر لإدارة التجارة مقابل نسبة من الإرباح.

ومع كل ذلك لم أشعر بالأمان في أي لحظة من اللحظات، فأرشدني ضميري للزواج للشعور بالأمان والاحتواء في كنف رجل يهدوء لنحيا حياة الود والهدوء، ولكن أين هو الزوج الذي يفتخر بنسبي وبمصاهرته لعائلتي وأنا الهاربة المشردة التي جمعت أموالها من السرقة والافتراء، فكان انحدار كرامتي هذه المرة بمعرفتي حيث عرضت نفسي كزوجة لمدير نشاطي التجاري بحلال الله، فكانت موافقته ليست من أجل شخصيتي أو من أجل تجربة الزواج؛ بل كانت من أجل التجارة التي برع فيها وصارت لها مكانة مرموقة بين التجار والأسواق، فكان زواجنا بلا روح، بلا محبة، حيث كان كالحاتم في أصابعي أحركه كما أشاء وقتما أريد، حرصًا على استمرار عمله في إدارة أملاكي، فلم أشعر برجولته في الاحتواء والقوامة، أو حتى في ذكورته المتمثلة في لهفته على جسدي والتمتع به، فكان كاللعبة أحركه بالأمر في ارتواء رغباتي الحميمية بكل

برود، وإن كان لطيف التعامل، ممتعًا وحنونًا، يتلهف ويستمتع مع الساقطات صديقاته اللواتي يواعدهن سرًا، فأغلقت على نفسي ورضيت بوضعي حينها من أجل الاستقرار، لكن هيهات أن يسير الحال بشكل ثابت مستمرًا طوال العمر، فكان اليوم المشؤوم، حين استلمت جثة زوجي من إحدى المستشفيات بعد إصابته بنزيف حاد في المخ جراء حادثة سير، لم أستطع النوم ليلاً بعدها، فكنت أغلق على نفسي حجرتي وحيدة أبكي وأتلهف لمن يغرقني في أحضانه ويغمرنى بقبلاته ويجعل من يديه مركبات تسير على ظهري حنانًا ذهابًا وإيابًا، كنت أشعر بأنني بحاجة لمن يسمع صراخي، كنت أحتاج أن أشعر أنني إنسانة من لحم ودم، وأن أجد من يحترم إنسانيتي، فتلك هي الاحتياجات الفطرية الأساسية الملحة للحياة السوية لأي إنسان، فكان حرمانى الجديد المتفاقم وقودًا لانحراف العقاقير المسكنة والمخدرات النباتية والمخلقة، وحياة السهر وتناول الخمور في الملاهي الليلية وإحراق للأموال بلا هدف، تلك الحياة التي كانت بمثابة إلهاء لعين وجدار وهمي من النسيان ليعزلني عن أحزاني وحرمانى.

ولم تكتفِ نفسي الهشة بذلك؛ فتحالفت مع الشيطان وألقى على مسامعها الوسائس، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا كالفريسة الكثيبة المستسلمة ينهش في جسدي العاري أحد الغرباء يعتليني في مضجعي، يحتويني في أحضانه، فأطلقت زفيرًا حادًا يحتوي على العديد من الغازات التنفسية السامة الساخنة، يصاحبه أنين الإشباع بعد الحرمان، شعرت معها بزوال جميع طاقتي السلبية، وإحلال طاقة السكينة والفرح مكانها، حيث كان مجرد التلامس والتلاصق عرايا والانتشاء بشكل فاجر ما هو إلا صبر طفيف يعوض حرمانني النفسي من وجود أب صالح يشعرني بالثقة والأمان، وأم حنون تزرع بداخلي العطف والإحسان، ومن وجود العديد من الأشقاء والأصدقاء أشارك معهم طوال حياتي بهجة الحياة، وأن أكون من أوائل الطالبات في مسيرتي التعليمية، وأن أعلو بقدرتي في المجتمع يصفق لي الجميع، يتهافتون على التودد لشخصيتي الوقورة، فلم أكن أرغب في ممارسة الجنس كفعل مستقل بذاته، ولكن كنت أريد أن أشعر بمن يرغب في وجودي ومن يشعرني بأهميتي في هذه الدنيا الغير عادلة حتى ولو بالفعل المحرم.

وعند انتهائي من النجاسات واختلائي بنفسي في غرفتي وحيدة
تملكني البكاء كالطفلة المغتصبة، تتساقط منها الدموع كثيفة وبطيئة
تكفي لامتلاء كوب زجاجي يسع لنصف لتر من الدموع، لم تكن دموع
ندم فالندم لم يعرف طريقه نحوي أبداً؛ ولكنها دموع الوحدة وإحساس
الحرمان العاطفي، لينتهي بركان الانحطاط الثائر المتكرر وأنا ألتف
بالقمماش الأبيض الساتر لعورات جسدي المجرد من الملابس، مقيدة اليد
بصحبة أحد شركائي الفاجرين، تنتظر العرض على وكيل النائب العام
ليقرر محتويات الفصل الجديد في قصة حياتي، وعلى الرغم من معرفة
مصري المنتظر والتأكد من حصولي على لقب عاهرة بدلاً من سيدة
المجتمع الفاضلة ناصعة الشرف والبياض؛ إلا أنني شعرت بسعادة
غامرة حين أخبرني من كان يشاركني مضجعي النجس والمقيد معي
بنفس القيد المعصمي واهماً بأن كل شيء سيصبح على ما يرام، وأن
خروجنا من مقر النيابة سيتم خلال دقائق معززين مكرمين، حيث
يمتلك صداقة عدد من الشخصيات الهامة المؤثرة في صنع القرار، التي

لن تقبل أبداً أن يكون في ذلك الوضع المهين، فلأول مرة أشعر بالمشاركة في الحياة، وأن هناك من يسعى ليطمئني ويهتم بخوفي وقلقي، ويعتبر شخصي حدثاً مهماً في حياته، حتى وإن كان ذلك واهماً على سبيل طمأنة نفسه في المقام الأول، أو أجبرته الظروف على ذلك دون رغبة سابقة نابعة منه، حينها خفق قلبي تجاهه حباً وتمنيت أن يقوم بتقبيلي ويحتضنني طوال العمر بلا توقف؛ ولكن هذا الفعل أصبح غير متاح الحدوث.

في خلال أيام قليلة تحولت أوراق التحقيقات إلى المحكمة التي قضت بتقييد حريتي خلف الأسوار لمدة سنة كاملة، وعلى الرغم من آلام إقامتي في مسكني الجديد الملزم بالقوانين الصارمة؛ إلا أنني أحسست بالعفة والطهارة، وكنت أبدل أوجاع تحرري من سطوة العقاقير المميتة إلى عزيمة وإصرار على إنهاء حالة الأسر والضعف التي سيطرت على شخصيتي، وأيضاً شعرت بالاستقرار والطمأنينة، فكان من مشاركة زميلاتي العاهرات وغيرهن من المذنبات في الحياة العادية داخل السجن، كالنظافة والطبخ وجلسات النسيمة شفاء لجروحي

ومصدرًا لسعادتي، وأحسست بالندم لأول مرة في حياتي، فهو دواء
كالعقم ولكنه شافٍ لا محالة، لتكون تلك السنة هي أجل أيام حياتي،
وكم كنت أتمنى في أحلام اليقظة ألا تكون نهايتي كذلك النهاية التي
عاصرتها، إلا أن هذا الحال هو الوضع الطبيعي للداعرات الموبوءات
أمثالي.

وبعد انقضاء فترة الحبس الوجوبي كنت أمام لحظة اختبار حرج،
فقدراتي النفسية حينها كانت على المحك، فلا بد من إثبات صلاح
أحوالي أمام نفسي أولاً قبل الآخرين، فما كان مني إلا أن قمت بشراء
ملابس جديدة بعد أن هداني الله للحجاب والالتزام بأوامره الدينية
بداخل السجن، وكان بيع محل إقامتي وتصفية ذبول تجارتي السابقة التي
أغلقتها بعد وفاة زوجي خطوتي التالية، ورددت مسروقات السيدة
جبروت طالبة منها العفو والمسامحة، لأصل بعدها الى محطتي النهائية
منزل والدي، حيث كان الشوق والحنين لخيال لذيذ لم أعاصره قط، إلا
في أحلام يقظتي هو الغامر لنفسي الجائعة، فكم كنت أتمنى أن يتحول

هذا الخيال الأسر لواقع عذب مديد، ولكن حين نظرت إلى أبي للمرة الأولى بعد طول غياب، بادرني بعدة نظرات كان وقعها على نفسي كالكرياج الساخن حين يقسو على الجلد الناعم لتبدأ بعدها مراسم حفلة استقبال ارتجالية أحياها والذي بمفرده ضمن فقرات من الرده و الذم والتوبيخ لم تقل حدثها عن حد كرايجه السابقة، وما كان مني إلا التغاضي عن تلك المراسم المستحقة برحابة صدر واسعة وبعدها خمدت ثورة البركان الملهب الهائج، وبعد طول إلحاح رضخ أبي لمطلبي وبدأنا جلسة بوح وعتاب كانت بمثابة وقود سعادتي الحالية، تحدث كلانا في تلك الجلسة بوضوح تام عن مشاعرنا المبعثرة المفقودة، وعن دوافع أعمالنا السابقة وطموحاتنا في أيامنا المتبقية وانتهت تلك الجلسة بالمساحة الكاملة التامة عما مضى تجاه الآخر، وبدء مشوار جديد في الحياة دستوره العطف والمحبة، قانونه الإلزامي الشرف والكفاح، لتبدأ بعدها رحلة العيش في كف أبي بمصاحبة أخويّ اللذين أصبحا مصدر سعادتي وطاقتي الإيجابية، حيث وجدت في نفسي أمّا بديلة لهم بعدما

تركت والدتهم المنزل خالعة والدي من قيود الزواج بحكم قضائي، تاركة له بإرادتها الكاملة رعاية أبنائهما بعدما قررت البحث عن رجل آخر يغرقها في رغد الحياة.

وانطلقت خطواتي الفعلية في مستقري الجديد بإعادة ما سرقت من والدي عند هروبي سابقاً تلك الأموال التي كان يحتاجها بشدة، حيث أصبح لا يقوى على ممارسة العمل الشاق، فقام والدي بإيداعها كوديعة في أحد البنوك نعتاش من مردودها، واحتفظ بجزء بسيط من المال وأنشأ منه عملاً تجارياً بسيطاً لا يتطلب عملاً شاقاً.

أما عني فقد التحقت بمدرسة الثانوية التجارية وبعد تخرجي منها امتهنت أحد الأعمال الإدارية في إحدى الشركات الخاصة واستخرجت لنفسني شهادة ميلاد جديدة باسم جميلة الجميلة بعد وفاة طيف جميلة المحرومة المنحلة.





تترك فاطمة تلك السيدة الأربعينية ربة المنزل مقر سيادتها الأعظم
غرفة المطبخ في تمام الواحدة مساءً؛ لتؤدي فريضة صلاة الظهر على أمل
الانتهاء سريعاً من إعداد وليمة الطعام على أكمل وجه، حيث هذا اليوم
الخميس يختلف عن مثيله اختلافاً كاملاً؛ فالיום هو عودة ابنها الغائبين،
فابنها الأكبر محمود يؤدي واجبه الوطني العسكري في إحدى المدن
الحدودية بمحافظة شمال سيناء، حيث من المتوقع أن يكون قد بدأ في
خط سير عودته ليصل منزل العائلة بالقاهرة في تمام الخامسة مساءً؛
ليقضي أسبوعاً في كنف عائلته بعد شهر من الغياب، وأيضاً من المقرر
وصول ابنها هيثم على متن القطار الوارد من الإسكندرية محل دراسته في

كلية الصيدلة، حيث يصل القطار مدينة القاهرة في تمام الرابعة والنصف عصرًا، وتنتظر أيضًا الأم ابنتها الوحيدة بسمة العائدة من دراستها في جامعة القاهرة لمعاونتها في أعمال الطبخ والمنزل، ليعم المساء وتجتمع الأسرة بعد اكتمال سلسالها بعودة الأب والزوج عبد الحميد القرنفلي من عمله حيث يعمل مدير إدارة بأحد البنوك التجارية.

تبدأ فاطمة في ممارسة شعائرها الدينية أعلى سجادة الصلاة في غرفة نومها، خاشعة لربها الودود ليبدأ هاتف الخطوط الأرضية في الصباح ليسبب لها الإزعاج دون أن يفسد صلاتها، وعند انتهائها من أداء فريضتها، ومع استمرار نقيق الهاتف كانت لهفة فاطمة متوهجة لمعرفة من أزعجها وماذا يريد لتوبخه وتغلق الهاتف في وجهه.

- ألو، مين بيتكلم؟

- دا بيت محمود عبد الحميد القرنفلي؟

- أيوة، انت مين؟

- أنا المقدم حسين إبراهيم.

يتملك الهدوء الحذر في قلب فاطمة.

- أهلاً يا افندم، أهلاً بحضرتك، أو مرني.

- حضرتك مين؟

- أنا فاطمة محمد السيد والددة محمود.

- شدي حيلك يا أم محمود، البقية في حياتك، ابنك البطل محمود
استشهد بكل بسالة من ساعتين وهو بيشتبك بجماعة إرهابية، وضحي
بنفسه علشان يمنع كارثة كبيرة كانت ممكن تحصل لولا لطف الله
وتضحية محمود ومعاه أربعة من زمائله، وأن شاء الله نحتسبهم جميعًا
شهداء الوطن المجيد.

تسقط سماعة الهاتف من يد فاطمة فتصلب شاردة للحظات، ثم
تخور قواها فتسقط جالسة على أرض الغرفة صامتة واعية لمجريات
الأحداث، تسيل الدموع من عينيها، ينبض قلبها ضعف عدد دقاته
المعتادة، تشعر بنشاط نائر في رأسها في شكل ألم حاد، ينبض وجهها
بحرارة فلا تدري ماذا تقول وماذا تفعل، فلم تتمكن إلا من قول كلمة
يا رب مهتزة البدن صارخة: حبيبي يا محمود، حبيبي يا ابني، ليشتد
صراخها ليجتمع حولها أهلها وبعض من جيرانها محاولين التخفيف من
هول مصابها الجلل.

* * *

عند أول الليل كان معاد وصول طائرة نقل جثامين الشهداء في أحد المطارات الحربية في القاهرة، حيث استقبلت فاطمة ولدها محمود للمرة الأخيرة لتودعه إلى مثواه الأخير، تسير في جنازته العسكرية بثبات وتماسك، وإن كان لم ينقطع بكاؤها لحظة من الزمن، تصيح من وقت لآخر: ربنا یرحمک یا شهید، یا حبیبی یا محمود، کله یهون علشان بلدنا مصر، وأثناء لحظات دخول محمود لمثواه الأخير نهنت فاطمة.

- محمود یا حبیبی، انت سامعنی؟ أنا أمک یا ضنیاء، مع السلامة یا نور عینی، لو حاسس بیّ ما تخافش من حاجة، انت رايح أحلى مکان ربنا خلقه، وإن شاء الله ربنا یتقبلک شهید وتبقى أحسن الفایزین، ابقى تعالالی فی المنام طمنی علیک کل یوم یا حبیبی.

- ما تزعلیش علییه یا فاطمة یا اختی، اللیلة دی هتکون أجمل لیالیه، محمود هیبقى عریس الجنة، افرحی یا ام الشهید واحمدی ربنا علی النعمة الی رزقنا بیها، ابنک بطل فی الدنیا وهیدخلنا کلنا معاه الجنة فی الآخرة.

- الحمد والشکر لله، أنا مش حزینة علشان استشهد؛ أنا حزینة علشان مشی وسابنی، هیو حشنی ومش هاشوفه تانی.

عند الحادية عشر مساء انتهت مراسم الدفن وتقبل العزاء، فيطلب
المقدم حسين إبراهيم الانفراد بعبد الحميد القرنفلي والد محمود بعض
الوقت.

- تحت أمرك يا سيادة المقدم.

- البقاء لله مرة ثانية، ابنك كان بطل عظيم قدم نفسه فداء لوطنه.

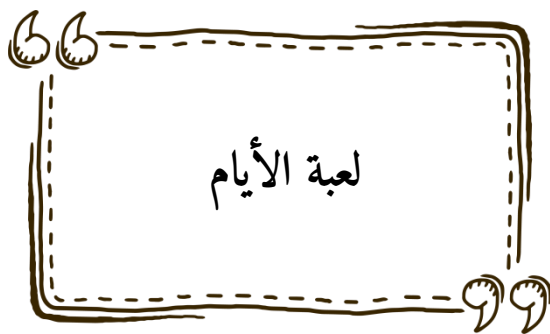
- الدوام لله وحده، شكرًا يا افندم على حضورك وتعبك معنا
طول اليوم.

- دا الكارت بتاعي، إن شاء الله بعد أيام العزاء يا ريت تتواصل
معايا علشان نخلص إجراءات معاش من القوات المسلحة ليك ولست
أم محمود، وكمان عاوز أبشرك إن شاء الله السنة دي وزارة الدفاع هتقدم
لك هدية انت والمدام رحلة حج فخمة شاملة جميع التكاليف.

- كتر خيركم يا افندم ما لهوش لزوم تعبكم والتكاليف دي كلها.

- يا أستاذ عبد الحميد مصر ما بتنساش ولادها اللي ضحوا
بأرواحهم علشانها.





صباح يوم الأحد، اليوم الأول للعام الدراسي الجديد في إحدى المدارس الثانوية، يصطف ماجد وراشد يلقون تحية العلم، ثم يشرعون في سباق مع قرنائهم لمحاولة الوصول أولاً لفصلهم الدراسي للفوز بالصف الأول من المقاعد، حيث يدرسان معاً في الصف الثالث الثانوي، فتمكن راشد من الوصول للمقعد الأول الأمامي، أما ماجد فكان مكانه في الصف الخامس فلم يجد ماجد حيلة إلا الاستقواء على راشد المتهذب العاجز عن مجاراة ماجد في ألاعبه النفسية، وطلب منه عمل تبديل لأماكنهم فاعتذر منه راشد بكل أدب ليس لوصوله للمكان المنشود أولاً؛ ولكن بسبب قصر قامته وضعف نظره أيضاً، فلم تكن ردة

فعل ماجد ابن تاجر المصوغات والمجوهرات إلا التمر على راشد صاحب الحالة الصحية الضعيفة والاقتصادية المتواضعة، حيث يمتهن والد راشد الأسطى فرغلي صنعة السباكة، فقابل راشد ذلك التمر بتقبيل رأس ماجد ومدح عائلته وممتلكاته، ولكنه لم يحرك ساكناً ليصبح التنافس في كافة مجالات الحياة هو دستور العلاقة الشخصية بينهما، فكانت النقطة الفاصلة بينهما هي مجموع درجات الشهادة الثانوية، حيث يتخذ معظم أبناء المجتمع من النسبة المئوية لمجموع الثانوية العامة معياراً لقيمة الإنسان الشخصية في المجتمع، فكلما ارتفعت النسبة زادت قيمة الإنسان، خاصة من يفوز بالحصول على مقعد في كليات القمة الزائفة، فلم يرتق مجموع كليهما للوصول لكليات القمة المنشودة حينها، المتمثلة في إحدى الكليات الطبية، فأصيب راشد بالحسرة وغصة القلب، حيث كان يطمح بالفوز بمنزلة الطبيب العالية حيث الوجهة والقيمة الاجتماعية والعائد المادي المريح من مهنته الممتنة، ومع الخضوع لمخاض مكتب التنسيق أصبح طموحه الحالي في الحصول على لقب دكتور أكاديمي في كلية التجارة المستقر الجديد له، أما ماجد فعلى الرغم

من كونه لا يحتاج إلى امتحان الطب فيكفيه العمل مع والده في تجارته
الرابعة ووراثتها فيما بعد؛ إلا أنه أراد الجمع بكلا الحسنيين، المال والشراء
من والده، والمكانة الاجتماعية من مهنة الطب، فقام والده صاحب الشراء
الباهظ بتحمل تكاليف دراسة نجله لدراسة الطب في إحدى الجامعات
الخاصة عالية التكاليف.

شاءت الأقدار أن يلتقي راشد وماجد بعد فترة من الابتعاد امتدت
لبضعة أشهر أمام خزانة دفع ثمن المشتريات في إحدى سلاسل
المحلات التجارية لبيع المواد الغذائية، قصدها راشد فقط للإلقاء نظرة
استكشافية مقابل شراء زجاجة مياه غازية، أما ماجد فكانت عربة
مشترياته عامرة بجميع ما يخطر على البال من منتجات.

- أنت إيه اللي جابك هنا؟ الحاجات هنا غالية عليك، يلا امشي من
هنا علشان مش هتلاقي حد يدفع لك، أقل حاجة هنا تمنها عفش بيتكم
كله.

- احترم نفسك واتكلم بأدب، وخليك في حالك.

- بقى انت يا واطي اللي هتعلمني الأدب؟ يا ابن السباك!

كان وقع كلمات ماجد على نفس راشد كالسكين المذوذة في قلبه، فلم يشعر راشد بنفسه إلا وهو يقذف ماجد بزجاجة المياه الغازية التي ابتضعها ليتفادها ماجد بسرعة بديهية عالية ليغادر بعدها راشد تتساقط الدموع من عينيه، يحتسب ما حدث له عند الله، وسط ضحكات عالية مدوية من ماجد، لفتت انتباه من صادفوا المشهد.

وبعد عدة أسابيع في صباح أحد الأيام، أثناء ذهاب الأسطى فرغلي في أحد الطرق لتأدية عمله بداخل إحدى البنايات بالمدن الجديدة، صادف أحد الأشخاص بداخل سيارته على جانب الطريق، يضع رأسه على قطعة التحكم في القيادة فاقدًا للوعي، فتملك الشك في قلبه أن يكون ذلك الرجل قد توفاه الله، فعند استكشافه حال الرجل بداخل سيارته تأكد من وجود نبض بقلبه، فقام بتحريك المريض من مقعد السائق إلى المقعد الخلفي من السيارة وقام فرغلي بالقيادة إلى إحدى المستشفيات الخاصة الشهيرة القريبة من المكان دون أن ينتظر قدوم سيارة الإسعاف، وأيضًا دون أن تكون له رخصة قيادة في أي يوم من الأيام، وعند وصولهم وفحص المريض بالمستشفى بمعرفة أطباء

الطوارئ تين لهم أن ذلك الرجل غارق في غيبوبة مرض السكر، فظل فرغلي مرافقًا للمريض حتى أفاق من سباته العميق وقام بتسليمه متعلقاته الشخصية التي كانت بداخل السيارة، والتي بحث فيها فرغلي واصطحبها معه داخل المشفى لإثبات شخصية المريض، فما كان من المريض إلا أن قدم الشكر لفرغلي لحرصه على الاطمئنان عليه وعدم سرقة سيارته ومتعلقاته الشخصية، حيث كانت تحتوي حقيبة متعلقات المريض الشخصية بعض الأوراق الهامة ومبلغًا ماليًا شديد الضخامة جراء بيعه لعقار من سلسال ممتلكاته، حيث كان في طريقه لإيداع أمواله في أحد البنوك، وقبل أن يقود سيارته تناول بعض الحلويات دون أخذ دواء مرضه فكانت غيبوبته نتيجة طبيعية لما ارتكبه من حماقات.

فكان من إصرار المريض على إعطاء فرغلي المكافأة المالية الطبيعية لأمانته في تلك الحالة، والتي كانت باهظة الثمن بمثابة طوق النجاة له، حيث كان بإمكانه أن يحتفظ بكامل المبلغ الثمين ويعلن عدم العثور عليه والاكتفاء بنقل المريض إلى المستشفى، وحينها لن يلام على موقفه ظاهريًا أو سرقة المبلغ دون إسعاف المريض وتعريض حياته لخطر الموت، إلا أن

دافع الشرف والنزاهة كان المسيطر على فرغلي الذي لم يعتد أن يجلب أموالاً أو ممتلكات ليست تخصه، لتقلب بعدها حياة فرغلي وولده راشد وباقي أفراد أسرته بشكل جذري، حيث بدأ راشد في دراسة الطب في جامعة خاصة، وبدأ فرغلي في إنشاء سلسلة محلات لبيع متطلبات السبابة بنظام الجملة والقطاعي، يعاونه فيها نجله الأكبر شندويلي، تكسب منها وفير الأموال في وقت قصير، وأصبح من مالكي الأبراج السكنية وأطلق على نفسه لقب المطور العقاري.

وعلى الجانب الآخر فقد تبدلت حياة ماجد وعائلته إلى النقيض بعد مرض والده الشديد قبل أن يتوفاه الله، ليتفاجأ بوجود زوجة شرعية دون الإشهار من والده، وإنجابها اثنين من الأبناء ما زالوا في سن الطفولة، وسطوتها على جميع مصوغات زوجها المخزنة بمتجره الخاص بمجرد علمها باستحالة شفاء زوجها، واستحوذت أيضاً على نصيب الأسد من ممتلكات زوجها المالية والعينية مستغلة الثغرات القانونية المعروفة، ليتبقى لماجد وعائلته مسكنهم الخاص دون وجود أي شيء

آخر مملوك لوالدة ماجد، فلم يكن أمامهم إلا اللجوء للقضاء لإجراء محاولة يائسة للحصول ولو على القليل من بعض ممتلكات والد ماجد الراحل، ولم يتوقف سلسال الانهيار عند ذلك الحد؛ فأصبحت دراسة ماجد الجامعية في كلية الآثار بعدما أصبح عاجزاً عن دفع التكلفة الباهظة اللازمة لدراسته في الجامعة الخاصة، وبدأ في الاتجاه للعمل لدى بعض التجار وامتهان المهن المختلفة بجانب دراسته الجديدة البسيطة.

وبعد مرور سنوات عديدة أصبح راشد يقطن مع زوجته وابنته الطفلة الصغيرة في مسكنه الخاص الواقع في بناية والده المطلة على نيل مصر الساحر، وأصبح يمتلك العقارات المتعددة في المدن الساحلية السياحية، وامتلك سيارتين حديثتين خصص منها واحدة لزوجته المعيدة في كلية الفنون الجميلة، وبدأ في السعي للحصول على درجة الدكتوراة العلمية في الطب الباطني، ليقرر راشد الذهاب لأحد المتاجر المتخصصة في بيع الملابس في مجمع المتاجر التجارية للسلاسل العالمية لكي يتبضع منه بدلة أنيقة يرتديها أثناء مناقشته لرسالة الدكتوراة الخاصة به، وعند دخوله المتجر المختار كان راشد على موعد بتدابير

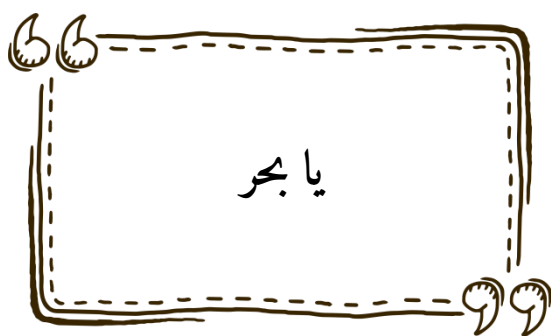
القدر، فيجد أمامه صديق الطفولة ماجد، يعمل بائعًا بداخل المحل، وبمجرد أن رأى الصديقان بعضهما البعض حتى تسمرًا في موضعهما ينظران لبعضهما البعض بصمت طويل الأمد، شديد القسوة على ماجد، عظيم المتعة لدى راشد، فقالت العينان كل ما يجب أن يقال في مثل هذه المواقف، ليتبضع راشد ما يحتاجه بمشاركة زميل ماجد في العمل حيث ظل ماجد صامتًا ينظر إلى راشد أينما تحرك داخل المتجر، وسط حالة من الاندهاش وعلامات الاستفهام التي حاوت المتواجدين بالمتجر، ومع انتهاء راشد من شراء احتياجاته قام بجلب ورقة مالية فئة الخمسين جنيهًا من حافظة نقوده، وقام بالبصق عليها وألقاها على جبين ماجد ليصبح فيه بصوت غليظ وبأنف عالية.

- دوق حلاوة شهادة الدكتوراة بتاعتي من سيدك الدكتور/ راشد فرغلي، دكتور الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي يا شحات يا جربوع.

يترك راشد المتجر بعدما تبضع مراده دون الاكتراث بشيء، أما ماجد فما زال ينظر إلى راشد وهو يسير في طريق المغادرة تتساقط منه الدموع دون أن يدري، وبعدها اختفى أثر راشد عن النظر سحب ماجد النقود

من جبينه وبصق هو الآخر عليها أيضًا، وقام بتفتيتها لقطع صغيرة وألقاها أرضًا، وخطا عليها بحذائه المتواضع، فعلى الرغم من احتياج ماجد لهذه النقود، إلا أنه لم يعتد أن يتقبل المال مذلولًا، وقام باسترجاع شريط حياته وذاكراته كأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا في قلب دار العرض، فلم يكن يدرك آيات الله في الأرض، دوام الحال من المحال، ومن يعتقد بتملك الأشياء طوال حياته فإنه لغارق في بحور الوهم المميت، ومن يفعل شيئًا في دنياه فإنه مردود عليه ولو بعد حين.





منتصف شهر أغسطس، الثانية والنصف بعد منتصف الليل، تجلس
فاتن أمام أمواج بحر مدينة الإسكندرية، ترتدي ملابسها الأنيقة، تخفي
عينها خلف نظارتها الشمسية رغم اكتساح الظلام؛ لكي لا يرى أحد
من المارة دموعها التي اختارت أن تطلق لها العنان فقط أمام صديقها
الوفاي، حيث غادرت مدينة القاهرة العامرة بالضجيج -محل إقامتها-
بمفردها لتبدأ مع صديقها في البوح بما يضيق به صدرها، بعدما مرت
بأحداث عاصفة متلاحقة في فترة وجيزة دون أن يشعر بها أحد من
البشر؛ فهي بنت الأكابر، نجلة أحد رجال الأعمال المرموقين في مجال

السياحة، يمتعن أشقاؤها أعلى المناصب الرفيعة بالدولة، وعلى الرغم من تمتعها بمقامات جسدية ومالية متميزة؛ فإنك لا ترى منها الغرور والتعالي أبدًا؛ ترى منها فقط كل بساطة وهدوء وتواضع وابتسامة خفيفة تخفي عظيم الخجل.

منذ ستة أشهر تودد إليها عمرو نجل رجل الأعمال فوزي المنسي منافس والدها الأول في استقطاب الأفواج السياحية، يطلب الزواج منها، فكانت مباركة والد فاتن للزواج مضمونة حيث يتمتع عمرو بالأصل العريق وابن الطبقة الأرستقراطية، فتلك هي المواصفات التي يتمناها في زوج ابنته، ولكنه لم يكن يعلم أن هذه الزيجة ليست كمعظم الزيجات هدفها عمارة الأرض والسكن والمودة؛ فهدف عمرو من تلك الزيجة ما هو إلا محاولة التوغل في نشاط والد فاتن السياحي لهدم أسطوره التجارية ليحل محله في سطوة السوق التجاري، فوالدها هو الفائز دائمًا بأهم الصفقات التجارية الأعلى ربحًا.

مرت فترة الخطبة سريعًا، وكانت كمعظم فترات الخطبة لدى معظم البشر، فترة هناء وسرور وتصنع الرومانسيات والتجمل في المواقف،

ليتم الزفاف سريعاً في أقل من ثلاثة أشهر، لتتفاجأ فاتن بمعاملة زوجها بطريقة تتناسب طردياً مع مقدار ما يحققه من غنائم، في محاولاته للتوغل في نشاط والدها السياحي، فكلما حصل على ما يريد كانت تغرق فاتن في بحور من العسل، وكلما عجز عمرو عن الحصول على مبتغاه أذاقها فنون الضيق والبطش، فما كان من والد فاتن عند عرضها شكوتها إليه من زوجها إلا الرفض بشكل قاطع اقتحام زوجها لنشاطه السياحي مرة أخرى، ومنعه من التودد إليه مرة أخرى بحجة علاقة النسب أو الاجتماعيات، فأصبحت فاتن كالطفلة في حيرة من أمرها، فأرشدتها ضميرها إلى طلب الانفصال بكل هدوء، ولكن حملها لجنينها في أحشائها جعلها تجمد القرار بشكل مؤقت حتى تلد مولودها، ولإتاحة الفرصة لزوجها للاعتدال إذا هيئت له الظروف ذلك.

تمر بضعة أيام أحستها فاتن شهوياً مريراً، لتأتي النقطة الفاصلة في حياتها الزوجية، حينما تلقت وافر اللكمات من زوجها حين نهرته عندما سب والدها لرفضه مشاركته في أحد المشاريع السياحية، لتدخل فاتن بعدها مستشفى الطوارئ لإجهاض جنينها المتوفي جراء لكمات أبيه،

وما كان من والدها إلا الاستجابة لطلب ابنته وسعيه معها للانفصال عن زوجها بعدما رحل الرابط بينهما، والسعي أيضًا على إنزال العقوبة القانونية الملائمة له جراء فعلته البغضاء، فما كان من عمرو إلا رفضه تطليق زوجته، ومحاولته التنصل من فعلته، ثم بدأ في مساومة فاتن ووالدها على الانفصال على أن يكون تطليق فاتن بكل هدوء وإنهاء العلاقة الاجتماعية بين العائلتين دون عراك أو نزاع، وبرأته من حقوقها الشخصية المدنية لديه، بالإضافة لعدم اتخاذ الإجراءات القانونية الجنائية ضده جراء الضرب والإجهاض، وهو ما استجاب له والد فاتن لطبي تلك الصفحة للأبد، وحتى لا تصبح الأخبار المتداولة عنه شخصية جنائية لا اقتصادية تجارية، لتحصل فاتن على لقب مطلقة قبل أن تغادر المستشفى، وعلى الرغم من كونها قد تماثلت للشفاء حين خروجها من المشفى؛ إلا أنها كانت تسير ببطء شاردة الذهن، تجر آلامها، لا تقوى على النظر لأحد من البشر، صامته كالروح التي أنهكها الجسد.

وبعد عدة أيام عادت فاتن لمزاولة نشاطها المهني من جديد، ولم تكن تتوقع أنها على موعد جديد مع الآلام، فبعدما كان الجميع يتهاافت على

طلب ودها تجنبها المعظم من زميلاتهما، فلا يحادثونها إلا للضرورة الملحة وبشكل مقتضب مقزز، فكانت في نظرهم السيدة الشابة المطلقة التي أجمرت، فهي كالورم السرطاني يجب التخلص منه وبشكل فوري، بعدما كانت أعز الحبيبات، فتوهمن زميلاتهما بأنها قد تجذب إليها أزواجهن، فمن المؤكد أنها بعد أن خضعت لكنف الرجولة وذات طعم الذكورة وسعادتها، فلا بد لها من العمل على اقتراس رجل جديد يعوضها حرمان السعادة الزوجية والعاطفية.

أما زملاؤها من معشر الرجال أصحاب النظرة الذكورية العلوية فكانوا على نفس النهج ولكن بزاوية فكرية مختلفة؛ فالمطلقة في نظرهم محدودة الأدب، وبطبيعة معتقدتهم المطلقة هي صيد ثمين سهل القنص لإقامة النزوات، خاصة بعد حدوث فض مسبق لغشاء العفة، فأصبح الطريق لهم ممهداً لإقامة النزوات، والدخول في طريق الوحل لنهايته دون وجود بعض من التحذيرات قد توضع في الحسبان تحرمهم من المتعة الكاملة، فلم تسلم من مضايقات الرجال والتودد المبالغ فيه،

ناهيك عن التعرض للتحرش اللفظي الذي لا تقوى على البوح به،
وطلب العقوبة للجاني حتى لا تزداد نظرة المجتمع لها انحداًراً.

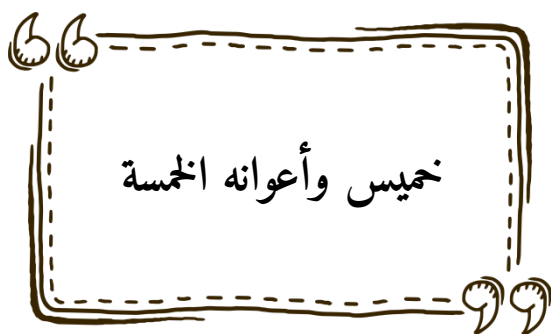
و رغم أنه من المفترض لدى كبار السن من الذكور والإناث عظيم
الحكمة ووافر الحنان؛ إلا أن أحداً منهم لم يرحم فاتن، فمع تعاملهم
المقتضب معها تجدد عبارات العزاء والمواساة ومصمصصة الشفايف المقززة
المنفرة كمريضة سرطان في مرحلته الأخيرة التي تنتظر الموت المؤكد
القريب، وكأن زوجها السابق الذي أبغضته واستخدمت حقها الشرعي
بالانفصال عنه شخص عزيز رائع وهي من أخطأت وتجنبت عليه، ولم
تدرك وتحسن استخدام ما أنعم الله به عليها، وكانت القشة التي قسمت
ظهر البعير تتمثل في الأهل والمقربين لها، فلم تسلم فاتن من تدخلهم في
نظام حياتها وطبيعة ملابسها وتعاملاتها الظاهرية ومعرفة
الأشخاص الذين تتواصل معهم، كأن طلاقها خطيئة كبرى ووصمة
عار يجب أن تدفع ثمنه طوال حياتها، وتختفي بسببه من الوجود إذا
استمرت حالتها الاجتماعية على وضع الطلاق.

ومع تلك المواجهات والتحديات وتفاقم الوجدع تقدمت فاتن
باستقالتها من عملها وانطلقت بمفردها دون رضا عائلتها إلى صديقها

الشافى الوفى بحر الإسكندرية، الذى صادفته منذ مهدها تشكو إليه
وتسأله:

- أيرضيك يا بحر ما حدث لى من صدمات وخيات؟
 - هل أذنبت حينما اخترت الفراق بعدما استحالت العشرة الطيبة؟
 - هل أستحق هذه المعاملة من البشر لكونى اخترت أن أحيا بإنسانية
وبلا قيود؟
 - هل أنا كالعورة الغليظة يجب أن أتخفى عن العيون حتى لا أعاير
أو أفترس من سائر الحيوانات الناطقة؟
 - هل لك أن تصف لى علاجاً لأوجاع روحى الباهتة؟
- هذه الأسئلة وأكثر وضعتها فاتن فى صندوق رسائل صديقها المنقذ
لتنظره حتى الصباح لعله يجيبها.





خميس وأعوانه الخمسة

صباح يوم الخميس 03 / 03 / 2018، الخامسة فجرًا تتحرك قوة من ضباط السجن متبوعة ببعض من العساكر والأفراد المعاونين، يفتح أحد الحراس باب محبس خميس الانفرادي بعد أخذ الأمر من أحد الضباط، ثم انطلق ثلاثة من العساكر مفتولي العضلات ليقوموا بإحكام السيطرة على خميس وهو مستلقٍ على جانبه على أرض محبسه كعاملٍ الجزارة حين يسيطرون على ذبيحتهم، ثم يقيدون يديه من المعصم لتأخذ وضع الأمام أعلى منطقة الخصر، ثم عدلوا من وضعية خميس ليصبح واقفًا على قدميه، فيوجه خميس حديثه إلى أحد الضباط المتواجدين برتبة رائد.

- إيه؟ خلاص؟

يصمت خميس وينظر إلى أرض محبسه، وأراد أن يتخذ وضع الجنين ولكن العساكر الثلاثة مفتولي العضلات كان لهم تصرف آخر، فسحبه اثنان من العساكر كل فرد منهما من إحدى ذراعيه، أما الثالث فكان الدافع لخميس من الخلف، يسير خميس لعالم مجهول يعرفه عقله، ترفضه نفسه، صامت تهتز ركبتيه بلا توقف، يحرك رقبته كثيرًا يمينًا ويسارًا، يحاول التماسك ولكنه يتمتم "لأ مش عاوز أموت" من حين لآخر، يسير موكب خميس في ممشى طويل، يصطف على جانبيه العديد من العساكر بشكل رأسي بطول الممشى، يصل الموكب إلى لحظة الحق والقصاص ليجدوا في انتظارهم لجنة التنفيذ المكونة من مأمور السجن وأحد ضباط السجن برتبة رائد، برفقة رئيس النيابة المختصة، وبرفقته اثنان من أعضاء النيابة وأيضًا السيد اللواء مدير إدارة تنفيذ الأحكام، وشيخ جليل من كبار علماء الأزهر الشريف، وطبيب منتدب من مصلحة الطب الشرعي، والجلاد صاحب يد القصاص وثلاثة من مساعديه.

- تمام يا افندم، مذنب شقي خميس محمد عبد السلام السمنودي.
يأمر مأمور السجن أحد الأعضاء المتواجدين باللجنة بتلاوة ملخص
سريع للأحداث.

إنه في يوم الخميس 2015 / 5 / 28 تم ضبط المذنب خميس محمد
عبد السلام السمنودي، بصحبة خمسة من أعوانه في محل إقامته متلبسين
بشحنة قدرها مئتان وخمسون ألف قرص من مخدر الترامادول، وعدد
من الأسلحة النارية وفوارغ لطلقات الرصاص وعدد من النقود
الأجنبية المتعددة، وعدد من أجهزة الهاتف المحمولة، وذلك بعد تبادل
لإطلاق النار بين المذنب خميس وأعوانه الخمسة، والذي أسفر عن
استشهاد رائد شرطة واثنين من معاوين المباحث ضمن القوة المكلفة
بمداهمة وكر المذنب خميس وأعوانه، وبعد انتهاء التحقيقات تمت إحالة
المتهمين إلى محكمة الجنايات المختصة والتي حكمت حضورياً على
المتهمين بإحالة أوراق القضية إلى فضيلة مفتي الديار المصرية لأخذ رأيه
الشرعي في إعدام المتهم الأول، وتأجيل الحكم على باقي المتهمين حين

ورود تقرير فضيلة مفتي الديار، وبعد ورود الرأي الشرعي لفضيلة المفتي بعدم وجود ما يمنع شرعاً إنزال عقوبة القصاص على المتهم الأول، فحكمت المحكمة حضورياً على المتهم الأول خميس محمد عبد السلام السمنودي بالإعدام شنقاً، وحكمت أيضاً على أعوانه الخمسة بالسجن ما بين المؤبد منه والمشدد المؤقت، وقد قام جميع المتهمين بالطعن على الحكم أمام محكمة النقض، وبعد النظر والمداولة حكمت محكمة النقض بقبول الطعن شكلاً وفي الموضوع بتأييد حكم محكمة الجنايات الصادر بحق المتهمين، وبناء عليه أصبح حكم الإعدام الصادر بحق المتهم خميس باتاً تاماً واجب النفاذ، وبعد تصديق السيد رئيس الجمهورية على الحكم وإتمام كافة الإجراءات القانونية اللازمة تم تحديد اليوم الخميس الموافق 2018/3/3، الساعة الخامسة صباحاً لتنفيذ الحكم.

وبعد الانتهاء من تلاوة الملخص السريع للقضية يتحدث المأمور إلى عالم الأزهر الشريف.

- تفضل يا مولانا.

قول ورايا يا خميس..

أستغفر الله العظيم، تُبَّتْ إلى الله، ورجعت إلى الله، وندمت على ما فعلت، من معاصٍ وذنوب وكبائر، اللهم تقبل توبتي إليك توبة نصوحة، اللهم إني أسألك أن تجعل القصاص كفارة لذنبي، اللهم خفف عليَّ عذابك واجعلني من المرحومين، اللهم إني أسألك أن تعاملني بلطفك ورحمتك لا بعدلك وقضائك.

أثناء ذلك التلقين كان خميس مستغرقًا في صمته لا يردد دعاء التوبة والاستغفار، لكنه أصبح ثابتًا تمامًا لا يحرك رأسه، شاردًا ناظرًا إلى أعلى، يسترجع أحداث جريمته، فهو الذي تحالف مع الشيطان وأصبح تاجرًا للموت، مستغلًا ضعف البنية النفسية لضحاياه، وعدم مقدرتهم على تجاوز الأزمات النفسية والصدمات الحياتية، فكم من شاب يفترض فيه النفع والقوامة افترس خميس ريعان شبابه وقوته الجسدية، ليحوّله أسيرًا لمخدر يوفره له مقابل أمواله وممتلكاته، وكم من فتاة شابة يفترض لها أن

تكون زوجة نافعة وأماً حنون، استغل حاجتها الماسة للفرح والسعادة الغائبة، فكان المخدر لها سعادة واهمة زائفة تنهش في صلاحيتها للحياة، وتذكر أيضًا سلسال صفقات السلاح وجرائم اغتصاب الممتلكات التي جعلت منه فاحش الثراء، ولكنه لم يدرك في لحظة من اللحظات أنه سوف تشخص له الأبصار ليجني حصاد زرعه طوال حياته، فكانت محاصرة الشرطة له بمثابة بداية النهاية التي وعد الله بها عباد الظالمين في الدنيا، لتكتب كلمة الفصل على خميس الذي ولدت لديه مشاعر الندم العميق والخوف من الهلاك، فكم تمنى ألا ينكشف أمره ويظل فاسدًا في السر دون العلن، وتارة أخرى تمنى لو كان قد تمكن من الهرب عند مواجهته مع الشرطة وعدم قتله لأبطالها الشرفاء حينما حاصروه، وتارة أخرى تمنى أن يظل منعماً بالحياة حتى وإن كان مقيد الحرية يقبع تحت جبروت السجان بصحبة أعوانه، وكم تمنى كثيرًا أن يكون فردًا صالحًا حتى لو كان متواضع الثراء، فحب البقاء هو أغلى الغرائز عند الإنسان خاصة أمثال خميس الذين يعيشون جنتهم فقط على الأرض، فليس

العقاب عند خميس في أنين إزهاق الروح؛ بل إن العقاب لديه هو استقطاع جنته والانتقال لدار الحق، والتي لن ينال فيها لحظات النعيم، ويتمثل عقابه أيضًا في تلك اللحظات الأخيرة في حياته، التي يعاصرها الآن، التي يواجه فيها الموت، حيث الخضوع والانزهار منه مهما كانت لديه من مقومات المواجهة.

وبمجرد أن ينتهي شيخ الأزهر من تلقين خميس يسأله المأمور.

- عاوز تقول حاجة يا خميس؟

كان يود خميس أن يطلب من المأمور تخفيف الحكم أو تأجيله على أقل تقدير، ولكن هول الموقف أصابه بالصمت التام فيصيح به المأمور مرة ثانية مكرراً سؤاله الأخير، فينظر خميس مستغيثاً من شروده إلى المأمور دون النطق بأي حرف فيوجه المأمور حديثه إلى الجلاد.

- اتفضل شوف شغلك نفذ الأمر.

وبمجرد اتخاذ إذن التنفيذ الفعلي بعد الانتهاء من الإجراء الشكلي يتسلم الجلاد واثنان من معاونيه جسد خميس للبدء في إتمام أعمالهم

واقتياده إلى منصة القصاص فتخور قواه تمامًا، فيجهش باكياً مصدرًا أصوات النحيب.

يصل خميس مجرورًا إلى غرفة الإعدام ويعتلي مربع القصاص ويذهب أفراد اللجنة جميعًا برفقة خميس على هيئة وفد رفيع المستوى إلى غرفته الأخيرة، ويصطف الجميع يسار مدخل الغرفة ناظرين إلى منصة القصاص التي تقع أمام أعينهم يمين مدخل الغرفة، لكي يشهدوا المراسم الفعلية لإزهاق روح خميس القاتلة.

يقف خميس أعلى منصة تنفيذ الحكم أمام لجنة هلاكه في كامل الاستسلام، يهتز، لا يقوى على الثبات أو النظر إلى لجنة الإعدام، يعد أنفاسه الأخيرة، يقوم مساعد الجلاد الأول باحتضانه من الخلف بواسطة ذراعيه واللتين وضعتا على صدر خميس لكي يثبتته، حتى يقوم المساعد الثاني بتركيب كلبشات الأرجل لخميس بحيث تكون شديدة الإحكام فلا يستطيع مجرد تحريك أصابعه، وليقوم بعدها أيضًا بتغيير كلبشات يديه بكلبشات أضيق، ليكون موضعها الجديد خلف ظهره،

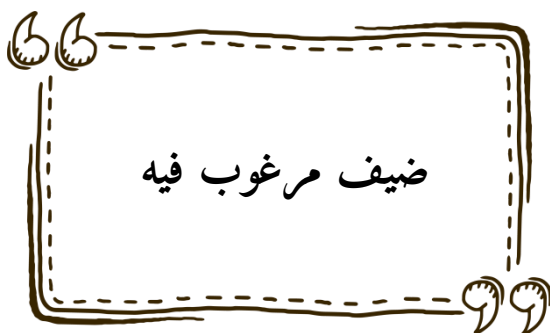
مع تركيب حزام لذراعيه يصلهما ببعضهما البعض برابط من الجلد القوي الناعم، ثم يقوم الجلاد بمهمته الشرعية بوضع حبل القصاص على رقبته المتكون من الكتان بنسبة 80٪ والحرير 20٪، الممزوج أيضًا بقطعة من حديد الفولاذ مصممة داخل أجزاء الحبل لكي تكون خلف الرقبة، وزن عشرة كيلو جرامات ذلك الحبل الغارق مسبقًا في سائل من الصابون ليجعل مهمة القصاص أسهل وأسرع، ثم يضيقه على المقاس المناسب لرقبته مثل ساعة اليد محكمة الإغلاق على اليد دون الإحساس بها ليتم تثبيت قطعة حديد الفولاذ في موضعها الطبيعي خلف رقبته أعلى فقرة عموده الفقري، ثم يضع غطاء الرأس المكون من قطعة قماش سوداء اللون حتى لا يرى خميس نفسه في لحظات إزهاقه، ولا يرى أعضاء اللجنة التغيرات التي تحدث في ملامح وجه خميس أيضًا.

يصبح بعدها خميس في كامل الاستعداد للقصاص منه فيغادر الجلاد ومساعديه مربع منصة تنفيذ القصاص المثبت أعلاه جسد خميس، ويشير بعدها رئيس النيابة العامة للجلاد بعينه الثابتتين الواثقتين بالتنفيذ

فيسحب الجلابد ذراع المنصة فينفتح مربع المنصة أسفل أقدام خميس،
ليسقط جسده لأسفل دون أن تلامس أرجله الأرض وتصبح رأس
خميس في مستوى أرجله قبل فتح مربع منصة القصاص، لتقوم قطعة
الفولاذ مستغلة نعومة الحبل الغارق مسبقاً في الصابون السائل بواجبها
الوظيفي المتمثل في تضيق الحبل بشكل حاد وسريع، وتقوم بكسر عنق
خميس وقطع شرايينه الداخلية عند منطقة الرقبة الرابطة بين رأس جسده
بالأعلى، وبقيّة جسده في الأسفل دون حدوث أي خدش بسيط في جلد
خميس المثبت أعلاه حبل القصاص، وذلك بمساعدة عامل الجاذبية التي
كلما ظلت متوافرة وقتاً طويلاً مع تعليق حبل القصاص في رقبة خميس
جعلت منه أكثر ضيقاً وتحكماً في رقبته، ليصدر خميس صوت جزائه
المستحق الذي سرعان ما ينتهي به إلى حالة من الخوار الصادر من المتبقي
من أحباله الصوتية التي تهتك أيضاً، ليصمت خميس بعد عدة ثوانٍ إلى
الأبد، ثم يذهب طبيب السجن لأسفل مربع القصاص المفتوح
المخصص للتنفيذ للكشف الطبي على نبض خميس للتأكد من إزهاق

روحه، ليعلن نفوق خميس بعد خمس عشرة دقيقة من سحب الجلاّد الذراع، ليظل بعدها معلّقًا كما هو لمدة خمس عشرة دقيقة حتى تتجلط دماؤه الداخلية والخارجية إن كانت خرجت منه من إحدى فتحات الوجه، ليتم فك جسده بعد أن قام الجلاّد بمهمته على أكمل وجه، ليتم تسليم جثمانه إلى عائلته لإيداعه مثواه الأخير، ذلك المقر الذي أعلن نهاية ظلم إنسان تعدى حدود الله، نهاية من قتل نفسًا حرم الله إزهاقها إلا بالحق، نهاية من سعى في الأرض فسادًا، نهاية من لم يتق الله.





كانت اللهفة تتملكني حينما هبطت طائرتي إلى أرض الوطن بعد
اغتراب من أجل رغد العيش في واحدة من الدول العربية الصديقة دام
سبعة وعشرين شهرًا، فكنت ملهوفًا لحضن زوجتي الودودة وأبنائي
الصغار، الأكبر منهم زياد والأوسط عبد الله، يدرسان في المرحلة
الابتدائية، وآخر سلسالي سارة ذات الثلاثة والعشرين شهرًا تلك القطعة
المتحركة من روحي التي لم أعاصر ولادتها، فقد تركتها جنيًا في أحشاء
أمها حيث من المقرر الاحتفال بعيد ميلادها الثاني أثناء إجازتي التي تمتد
شهرين متتابعين.

وعند عودتي التقطت صورة فوتوغرافية مع زوجتي وأبنائي فكان من مشهدها فرحة تضاهي فرحة الصائم الجائع حين يفطر، حيث لم تشبع تطبيقات الهواتف النقاله حنيني لهم، ثم خلدت في نوم عميق للاستراحة من عناء السفر لكي أبدأ إجازتي الفعلية مع عائلتي صباح اليوم التالي بكل حيوية ونشاط، وعند استيقاظي عند منتصف النهار لم أجد زوجتي بجانبني في غرفتنا، ولكن كان ضجيج صوتها قد وصلني من قبلها، حينما كانت تصرخ فيّ أميرتي الصغيرة عند عبثها بمتعلقات المنزل، ليأتيني بعدها أبنائي مجتمعين، وكنت لا أزال لم أغير من موضع نومي.

- بابا أنا عاوز 100 جنيه فلوس الدرس الخصوصي.

- الفلوس عندك يا عبد الله في الدرج.

- هترجع الساعة كام؟

- مش عارف ممكن بالليل.

أردت أن أبدأ مع عبد الله الحديث ومناقشته في أحواله الشخصية ولكنه غادرني مسرعاً، أما زياد ابني الأكبر لم يتحدث ولو بحرف واحد،

وفعل مثلما فعل شقيقه وخرج من الغرفة كأني قطعة من الأثاث لا قيمة لها، ولم تتخذ سارة أيضًا فعلاً مغايراً فذهبت لكي تحصل على النقود مثل أشقائها ولكن قصر قامتها منعها من تحقيق مرادها لتأتيني مسرعة من جديد.

- عمو عموهات لوس.

- عمو؟ عمو مين يا سارة؟ أنا بابا يا حبيبتى.

- لاء، بابا لاء.

- آمال بابا فين؟

أشارت إلى الهاتف المحمول الموجود بحوزتي.

- بابا موجود هنا.

- طب هاتي بوسة وحضن كبير وأنا أدى لك فلوس.

- لأ هات لوس.

- هتدينى بوسة؛ هادى لك الفلوس.

اقتربت سارة منى وبكل ثقة وحماس وأعطتني صفة على وجهي كصوت آلة الدرامز أحدثت رنيناً قوياً بدلاً من القبله التي كنت أتمناها، لتأتي بعدها زوجتي حاملة حاوية طعام الإفطار.

- ماما عمو هات لوس لأ، عمو وحش، عمو امشي باي.

- (بلهجة استنكارية) عاوزاني أمشي يا سارة؟

لم تجاوبني ولكنها اكتفت بالنظر إليّ وكأنها تنظر إلى أحد المجرمين
خاطفي الأطفال، ثم بصقت عليّ وخرجت لتلهو في غرفتها لتغرق
زوجتي في بحر من الضحكات دون أن تشجب سلوك ابنتها أو تخفف
من هول صدمتي المكتسبة.

انتصفت مدة إجازتي فكانت بطيئة شعرت فيها بالاعترا ب وأنا بين
أبنائي، فكان لا بد من اكتشاف عائلتي من جديد وتقبل أوضاعهم كما
هي دون تغيير، حتى وإن كان يشوبهم بعض الهفوات والسلوكيات
المذمومة، ليتمكنني التكيف معهم دون عناء، فزوجتي الملاك الحنون لم
تعد ضاحكة باسمه؛ فأصبح صراخها في الأبناء من واجباتها الأساسية
ولهجة الأمر بسيادية هي دستور علاقاتها بالأبناء، وأهملت في اهتمامها
بجمالها وأصبحت كأنثى الثور الممتلئة باللحوم الجاهزة للذبح، فتملكني
الفتور منها فيما يخص واجب الزوجية.

أما أبنائي الذكور فكان الأكبر منهم زياد لا يعترف بوجود المنزل إلا
في أوقات النوم والطعام، ولا أحد يعلم أين يذهب أو ماذا يفعل، أصبح

يهاتف أصدقاءه وصديقاته لوقت طويل، ويقول لأحدهم حبيبي، تلك الكلمة التي لم يوجهها لي مطلقاً.

أما عبد الله فالصدفة وحدها كانت كفيلة بكشف ستره وعواره السلوكي، حين دخلت غرفتي لأجد عبد الله يعبث بأموالي ويضع كثيراً منها في جيب بنطاله دون علمي أو موافقتي المسبقة، فلم أظهر له أنني قد كشفت فعلته ليفاجئني بعدها بطلب المال من جديد، فقدمت له ما يريد ثم بدأت متخفياً في متابعة خطواته خارج المنزل فتيقنت بعدم حضوره للدروس الخصوصية التي تكلفني الكثير من المال، والتي من أجلها ابتعدت عنهم، وبدأ يلهو بأموالها باللعب بالألعاب النارية بصحبة رفقاء السوء، وقضائه العديد من الساعات في أحد المحلات التجارية المخصصة لألعاب الشباب.

فعدت لمنزلي بمفردي مصحوباً بحسرتي، لأجد زوجتي لاهية في طهي الطعام، تصرخ في ابنتي الصغيرة التي في أمس الحاجة إلى اللهو والمشاركة في فعاليات الحياة، فأصبحت لا أدري ماذا أفعل، حينها تذكرت اتفاقي مع زوجتي بسفري وترحالي وتحمل ويلات الوحدة

والعمل الشاق من أجل تأمين مستقبل مالي لأبنائي المحروم منهم، مقابل تفرغها التام لرعايتهم كما يجب، ولكني لم أكن أعلم تبعات هذا الاتفاق اللعين، فأصبحت كما كينة المال مقابل العناية والاهتمام من زوجتي لي ولأبنائي، والتي لم نلقها على أكمل وجه، وحينما قررت التدخل أثناء إجازتي لمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه صعقت من زوجتي التي صاحت في وجهي كتيار الماء الغليظ العائد بعد غياب.

- ما تتدخلش في نظام البيت، أنا عارفة أنا باعمل إيه كويس، وكل حاجة تحت السيطرة، كبر دماغك واستمتع بالأجازة وما تضايقش الأولاد علشان يفضلوا محبوبك، انت كام يوم وهتمشي، فخليك ذكرى حلوة عندهم.

فكان قراري الحاسم إلغاء الأسابيع الستة المتبقية من إجازتي، والعودة لمقر عملي في الدولة العربية الشقيقة، تاركاً زوجتي لتكمل ما بدأت، حيث توفير المقابل المادي للعمل بشكل إضافي يخصص فترة زمنية مقدارها شهر ونصف هو عين الصواب لمواجهة تكاليف الحياة وتأمين حياة كريمة للأبناء الذين سيصبحون بطريقة تربوية معينة أو بأخرى في

أفضل حال فالأمر لا يتعدى وجهة نظر مختلفة بيني وبين زوجتي، فهي المعاصرة للواقع الذي ابتعدت عنه حسب اتفاقنا معاً، هكذا أبلغت زوجتي حين مغادرتي، ولكنني أخفيت عنها بأنني ذاهب لإنهاء تعاقدتي وجمع مستحقاتي المالية عند جهة العمل للعودة لتغيير لقبني من ضيف مؤقت مرغوب فيه إلى القائد والمدير المستديم.





مسافر بلا عنوان

جلس متولي في أحد أركان مراكب الصيد على أحد الشواطئ التابعة لمحافظة كفر الشيخ عند منتصف الليل في كامل يقظته، يطغو عليه القلق والترقب؛ فهو بانتظار المجهول حيث ينتظر انطلاق مركبته إلى أحد الشواطئ الأوروبية.

ولمن لا يعرف متولي فهو الشاب البالغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، الحاصل على المؤهل المتوسط المتخصص في فنون الزراعة، لديه حفنة من الأشقاء والشقيقات منهم من اكتفى بالحصول على شهادة التعليم الأساسي، ومنهم من لم يعرف طريقًا للمدارس قط.

تعمل والدتهم كعاملة بوفية في إحدى المصالح الحكومية، ويعمل أبوه في زراعة الأرض، حيث يمتلك عشرة قراريط زراعية، يساعده أبنائه جميعاً في زراعتها باستثناء متولي، ذلك الشاب المتمرد المتعجرف الطامح للثراء الفاحش والعيش في أفخم القصور وسط حفنة من الجواري، وامتلاك الطائرات الخاصة يذهب بها للأماكن البعيدة التي لم يعرف مكانها أبداً ولم يسمع عنها من قبل، يرى في انغلاقه على الزراعة والسكن داخل قريته والزواج من إحدى قريباته وأداً لحياته التي يحلم بها، فلم يكن في يوم من الأيام على جدول طموحاته ورغباته العمل والكفاح وبناء الأسرة وإنجاب الأبناء وتعمير المجتمع؛ فهو المشترك الأبرز في جميع المسابقات التلفزيونية الكبرى من أجل الحصول على الجائزة المليونية التي قد تبعد عنه فكرة الاغتراب في بلاد اليورو، ويبدأ من المليون، رحلة الصعود المتمناة.

ذات يوم كان قد قرأ متولي بالصدفة البحتة إعلاناً عن فرصة عمل بإحدى الدول الأوروبية براتب مغرٍ عن طريق الهجرة دون أي تفاصيل إضافية، فكانت تلك هي الفرصة التي اعتقد متولي أنها الطريق الوحيد

والسريع لشعاع النور المرجو، حيث الحرية الجنسية المطلقة واحترام الفوارق الاجتماعية وتطبيق القانون الصارم وعدم التدخل في شؤون الآخرين حسبما يعتقد، حيث كان متولي قد تملك اليأس منه بعدما ذهب إلى إحدى الدول الخليجية بشكل شرعي، والتي عمل بها كفرد أمن نال منها الفتات نظير العمل لساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة، فعاد إلى عائلته خاوياً من الإنجازات والمكاسب، وما زاد الطين بلة تم رفض دخوله لأكثر من دولة أوروبية بالطرق القانونية التقليدية، تلك الدول التي تضع شروطاً صارمة لمن يريد السفر إليها، حيث يجب على من يريد السفر أن يثبت بشكل حقيقي وواقعي أن لديه الملاءمة المالية التي تجعل إقامته بداخلها أمراً يسيراً، وأن من يريد الدخول إلى بلادهم بغرض السياحة أو أي غرض مشابه يغمره الأمن والسلام لفترة محدودة مؤقتة، وأيضاً تقديم ما يثبت أن للفرد الأجنبي عنهم عظيم الدوافع التي تستدعي عودته لبلده الأم، وعدم تخلفه عن موعد عودته المتوقع والإقامة بشكل غير شرعي في بلادهم بحثاً عن فرصة عمل، مما يكلفهم أعباء اقتصادية كبيرة وبعض المخاطر الأمنية والاجتماعية لاختلاف

البيئة والعادات والتقاليد، خاصة أن مقومات متولي الشخصية لا تشفع له في الحصول على فرصة عمل تناسب المجتمع الأوروبي، فتلك الفرصة الملتوية كانت بمثابة طوق النجاة الأخير لتحقيق آمنيات متولي والحصول على الثراء المنشود رغم مخاطرها المتعددة.

وحينما تواصل مع منظمي رحلة الهجرة اصطدم متولي بالمبالغ الطائلة المطلوبة نظير السفر، فلم يجد أمامه إلا الضغط على أبيه لبيع مساحة من ممتلكاته الزراعية تساوي المبلغ المطلوب منه، وبعد تردد عظيم كان الاتفاق بإعطاء متولي المال المناسب للسفر ليقوم بإرجاعه كاملاً من مدخراته، وتخصيص مبلغ شهري إضافي يرسله متولي بشكل مستمر لعائلته للمساعدة في تكاليف المعيشة، مع تشديد والده بأن هذا المبلغ هو آخر مبلغ سيحصل عليه بعدما ساعده والده سابقاً عند سفره لبلاد الخليج، مهما كانت النتائج، ولن يساعده في تدبير نفقات زواجه، فوالده يريد أيضاً تأمين حياة باقي أبنائه وفق إمكانياته المحدودة.

مع انطلاق المركب تملك متولي شعور الخوف من المجهول، وتنامي لديه عدة أسئلة، أين سأكون بعد عدة أيام وفي أي وظيفة سيكون عملي

القادم؟ وهل بعد خمس سنوات سأكون من الأثرياء أم ماذا سيكون وضعي الجديد؟ ولكن عادل شعور الخوف لديه شعور خياله الممتع بالعودة إلى قريته والتباهي أمام معارفه بممتلكاته الغالية والتنعم بحياة الرغد الاقتصادي والرفاهية المبهرجة، استمر متولي على هذا النحو لمدة يومين كاملين لم يتناول فيها الطعام إلا القليل، وعند اقتراب المركب من إحدى الدول الجنوبية للبحر المتوسط ومشاهدة أضوائها بالعين المجردة، أمر قائد المركب متولي وزملاءه بمغادرة المركب المخصصة للصيد في الأساس، والإكمال للشاطئ عن طريق السباحة، أو الذهاب إلى أي مكان ينشدونه دون أدنى مسؤولية عليه، فمهمته التي تقاضى مقابلها أموالاً باهظة قد انتهت في هذه اللحظة.

واجه متولي هذا التحدي الذي يعجز في تخطيه أمهر السباحين بكل شجاعة إلى أن خارت قواه البدنية أمام شاطئ أحد المنتجعات السياحية الواقعة جنوب إحدى الدول الأوروبية المطلة جنوباً على البحر الأبيض المتوسط، فانتشلتة إحدى المضيفات العاملة بالمنتجع سراً، والتي تدعى ليكسي، وقامت باستضافته في منزلها وقامت بتعليمه مبادئ لغة البلد

الوارد إليها في بضعة أيام، ووفرت له فرصة عمل في ذات المنتجع مقابل الدخول في علاقة حميمة معها، حيث كان الرجل الشرقي محل إعجاب وجاذبية قوية بالنسبة لها، وعلى مدار تسعة أشهر مدة إقامتها معاً أعطى متولي ليكسي عظيم الحب والامتنان، وأصبح يعيش بنظام روتيني صارم مداه العمل والسكن وأحضان ليكسي لا غير.

جمع متولي طوال تلك الفترة أموالاً غزيرة بطرق مشروعة وغير مشروعة أيضاً، وأرسل الفتات منها لوالده عن طريق ليكسي، واحتفظ بالمتبقي وبدأ رحلة التخطيط لطموحاته الشخصية، حيث أصبح يتقن لغة البلد المقيم بها بشكل جيد، وبعدها بدأ في الملل من علاقته بليكسي التي رفضت قيود الزواج، وعند تمكنه من التوغل والاندماج في مجتمعه الجديد وإن كان ما زال بشكل غير قانوني، قرر بشكل سري البحث عن فتاة أخرى للزواج منها، ليس للاستقرار أو للتعدد الجنسي؛ ولكن كان ذلك من أجل الحصول على الإقامة الشرعية في البلد المتواجد بها، تمهيداً للحصول على الجنسية الرسمية الصريحة بمساعدة الزوجة الجديدة في

إنهاء المتطلبات الإجرائية والأمنية اللازمة، مقابل ما ادخره من أموال سابقة لتكون ثاني خطواته نحو هدفه قد أوشكت على التحقق.

وفي أحد الأيام عاد متولي إلى منزله بشكل مفاجئ ليجد ليكسي غارقة في أحضان أحدهم، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يعتدى عليها وأيضاً على رفيقها بشكل مبرح، فلم يكن أمام ليكسي إلا أن تقوم بإبلاغ الجهات الأمنية المختصة، وما كان من متولي إلا الهرب إلى المجهول دون أدنى تجهيزات استعدادية، فأصبح مطارداً من الأمن، سالكاً طريق الهرب، حيث بدأ في دفع فاتورة الفعل الغير مدروس، فلأول مرة يخضع متولي لسطوة البرد القارص وأمطار الثلوج أعلى أرصفة الشوارع، يتسول قوت يومه، يبحث عن عمل في الخفاء يبذل فيه عظيم الجهد مقابل عدد هزيل من ورق اليورو قد يكفي تلبية احتياجات قوت يومه من مأكّل وملبس وقد يعجز عن ذلك، يحاول ألا تدري عنه الجهات المختصة شيئاً فلأول مرة يشعر متولي بمرارة الحياة الإنسانية والاجتماعية القاسية في المجتمع الأوروبي بشكل واقعي، فلم يجد مؤسسات وطنية

ترعاه عند مرضه في حالة عجزه عن توفير تدابير العلاج والمال، ولا توجد حالة التكافل بين أبناء الشعب مثلما تحدث في البلاد العربية ولا يستطيع الارتكاز إلى قانون وضعي يكفل له الإنسانية، فهو الوارد إلى بلاد الغرب بشكل تطفلي والمغتصب لخيراتهم ونماء اقتصادهم.

وفي إحدى الليالي قارصة البرودة أصابت متولي الحمة، والتي امتدت إلى الالتهاب الرئوي الحاد، ففقد على إثرها الوعي ليستيقظ من سباته العميق ليجد نفسه وحيداً في إحدى المستشفيات، مقيداً بقيد في أرجله وإحدى يديه، متحفظاً عليه تحت أمر الجهات الأمنية تمهيداً لترحيله إلى وطنه عند تماثله للشفاء بعد استخراج وثيقة السفر الملائمة له.

وجد متولي نفسه وحيداً لا أحد يلازمه في أزمة مرضه، فكان تساؤله أين والدتي تحنو عليّ؟ أين أبي وأشقائي بجانبني ليشدد عضدي بهم، وأين أصدقائي وجلساتهم السامرة طوال الليل؟! فكانت فترة العجز المؤقت التي انتهت بالشفاء الشبه تام، والاستعداد للعودة إلى أحضان بلده بمثابة الإفاقة الواقعية الواعية لمتولي، التي حدثت له وتيقن فيها معنى

كلمة وطن الأمن والأمان، وطن التكافل والكرامة، وطن الحقوق والواجبات، فلم يغضب متولي حينها بل انتابه شعور بالحنين لوطنه وبالأمان المفقود، حتى وإن كان مقيداً بقيود حديدية، ينتظر المعاملة الاحتقارية عند ترحيله، فقد تعلم الدرس القاسي بأن نار الوطن أفضل بكثير من جنة زائفة في أوطان أخرى، قد تصبح جحيماً بين لحظة وأخرى، وأنه لا سبيل له إلا الكفاح الشريف المتصاعد حتى وإن كان شاقاً.



نبذة عن الكاتب

خالد مجدي رضوان.

- مواليد مدينة كفر صقر محافظة الشرقية.
- حاصل على بكالوريوس نظم المعلومات تخصص إدارة أعمال من أكاديمية الدلتا للعلوم بالمنصورة.
- كاتب صحفي وروائي، رئيس تحرير المجلة الثقافية أخبار الوطن.
- الأمين المساعد لأمانة العضوية بحزب مستقبل وطن بمدينة كفر صقر محافظة الشرقية.
- رئيس مجلس إدارة نادي أدب ثقافة مدينة كفر صقر.
- صدرت له مسبقاً رواية روح الحياة عام 2018 وشارك في أهم المنتديات والفاعليات الثقافية.



الفهرس

5.....	إهداء
7.....	حنين بطعم الألم
13	فريد وتهاني
19	جميلة
33	العائد المنتظر
39	لعبة الأيام
49	يا بحر
57	خميس وأعوانه الخمسة
69	ضيف مرغوب فيه
77	مسافر بلا عنوان
87	نبذة عن الكاتب



للتواصل مع الكاتب

fb / khaledmagdy.radwan

